محاضرات في مقياس قضايا الرواية التاريخية

تخصص أدب عربي السنة الأولى ماستر

أ.د. شريف بموسى عبد القادر

المحاضرة 1 : الرواية التاريخية والتاريخ

أ.د. شريف بموسى عبد القادر

يمكننا اعتبار الآداب مرآة للشعوب أي انعكاس لواقعها وتاريخها، وما يدلّ على ذلك أنّنا نجد إلياذة هوميروس مثلا، لم تنجح كلّ هذا النجاح إلاّ لأنّها أرّخت لحرب طروادة وحصارها المشهور؛ أيّ أنّها دوّنت بطريقة أدبية شعرية **تاريخ حصار مدينة طروادة وحروبها**. من هذا المنطلق نرى بأنّ الرواية باعتبارها فنّا أدبيا، تدخل ضمن هذا المنظور، أي **الرواية انعكاس للتاريخ**.

فالرواية تعكس واقع الشعوب وما تعيشه في فترات معينة من الزمن، هذه الفترات التي تُعتبر تاريخا لها. فإذا تناولت رواية أدبية ما فئة من المجتمع أو طبقة منه فهي بالضرورة تتناول جانبا من **تاريخ هذه الطبقة** أو الفئة المجتمعية.

بما أنّ الرواية تتناول ظواهر اجتماعية، وكل ظاهرة اجتماعية هي ظاهرة تاريخية كما يقول باختين، نستطيع القول بإمكانية اعتبار الرواية مصدرا غير تقليدي للتاريخ؛ لأنّها الأقدر على التغلغل في طيات المجتمع وخبايا النفوس والأقدر أيضاً على إنطاق المسكوت عنه في الخطاب الثقافي والسياسي والاجتماعيّ العام.

ومن هنا نجد أنّ هناك ارتباطا وثيقا بين الرواية والتاريخ، ولكن يجب التفريق بين الرواية بصفة عامة والرواية التاريخية.

لكنّ أوّل سؤال يتبادر إلى ذهننا هو : ما علاقة الرواية بالتاريخ ؟

إذا ما اعتبرنا حضور التاريخ من لوازم رواية ما، فإنّ اشتغال رواية ما على التاريخ يقتضي الإلمام بالأحداث التاريخية من طرف الروائي وخلق نوعا من التوازن والتناغم بين ما هو جمالي أدبي وما هو تاريخي موضوعي، وهذا ما يُفترض وجوده في الرواية التاريخية. ستكون من وظائف هذا النوع من الروايات، الكتابة داخل المساحات المغيّبة في التاريخ الرسمي، هو نوع من **التأريخ لما لم يُؤرّخ**.

لكنّ هذه العلاقة والترابط بين الرواية والتاريخ لا يفرضان بالضرورة رؤية موحّدة للروائي والمؤرّخ، لأنّ المؤرّخ لا يستطيع في سرده للأحداث التاريخية أن يكون روائيا لتقيّده بالحقائق التاريخية دون تدخّل منه سواء بالزيادة أو الحذف؛ بينما لا يمكن للروائي أن يكون مؤرّخا عندما يتّخذ التخييل وسيلة لسرده للأحداث التاريخية، فيستطيع أن يقدّم ويؤخّر ويزيد ويحذف ونجد أحسن مثال على ذلك روايات في **روايات جرجي زيدان** عن التاريخ الإسلامي.

من هنا يمكننا تعريف الرواية التاريخية بحسب **جورج لوكاتش** بأنّها " عمل فنّي يتّخذ من التاريخ مادة له، ولكنّها لا تنقل التاريخ بحرفيته، بقدر ما تصوّر رؤية الفنّان له ". ويضيف الناقد المصري محمود أمين العالم بأنّها: «تاريخ متخيّل داخل التاريخ الموضوعي»، بمعنى يمكن للروائي تخيّل بعض الأحداث والشخصيات وإضافتها ضمن الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية الحقيقية، أي يبتدع شخصيات وأحداث غير موجودة ضمن التاريخ الحقيقي الذي تتناوله الرواية.

ويمكننا أن نأخذ مثالا واحدا لندلّل على ما ذُكر سابقا، فرواية " **آلْمُوتْ** " للروائي الروسي **فلايدمير بارتول** التي كتبها سنة 1938م هي **رواية تاريخية** بامتياز حيث تناول شخصية تاريخية دموية معروفة في التاريخ الإسلامي وهي شخصية " **حسن الصباح** " (شيخ الجبل) وقلعته المنيعة " **آلْمُوتْ** " بالإضافة إلى شخصيات أدبية وسياسية تاريخية معروفة كـ " **نظام الملك** " رئيس وزراء الدولة السلجوقية سنة 1092م والشاعر والفلكي " عمر الخيام". لكنّ الكاتب أو الناشر لهذه الرواية في ترجمتها العربية يوضّح في الغلاف الأخير للرواية طبيعة هذه الرواية وتناولها لأحداث تاريخية وطبيعة العلاقة الموجودة بين هذه الرواية والأحداث والشخصيات التاريخية التي تتناولها، حتّى لا يقع اِلتباسٌ في ذهن القارئ فيقول:

" يُخطئ من يبحث في هذ العمل عن حقيقة" تاريخية ". ويُخطئ من يقرأه كبحث أو دراسة تاريخية أو عقائدية. فهذا العمل هو أوّلا " رواية " أي أنّه يحكي، كأيّة رواية أخرى، قصّة شخصيات وأمكنة وأزمان من حبر وورق تنحصر حقيقتها ضمن إطار النص المكتوب. وهذا النص هو ثانيا " **رواية تاريخية** " أي أنّ الروائي يتّكئ على التاريخ لصناعة الحكاية. وهذا لا يعني مطلقا أنّه يعيد سرد التاريخ كواقع وإنّما يُنشئ واقعا سرديا جديدا هو الرواية التي تُقرأ.

قلعة آلْمُوتْ وشخصيات **الحسن بن الصباح** و**عمر الخيام** و**نظام الملك** وعملية تقويض سلطة السلاجقة الأتراك في فارس عام 1092م وغيرها، كلّها عناصر وُجدت واقعيا في التاريخ لكنّها ليست في هذه الرواية أكثر من عناصر سردية في نصّ لا يكتسب واقعيته سوى من كونه الآن بين أيدينا."

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأنّ أيّ روائي حينما يتّخذ من التاريخ مادة لروايته يبني عليها الحبكة والعقدة الروائية سواء بناء على معطيات حوادث تاريخية مرجعية وقعت أو معطيات شخصية تاريخية معروفة عند أمة من الأمم، فهذا الروائي لا يهدف إلى تسجيل الحوادث التاريخية كما وقعت أو تمثيل الشخصيات التاريخية تمثيلا صادقا وحقيقيا، بقدر ما يهدف الروائي إلى بناء نصّ أدبيّ يتخيّل فيه أحداثا غير التي وقعت وشخصيات أخرى تكون جانبية للشخصية التاريخية المعروفة.

ولعلّ هذا ما حاوله روائيون عرب كثيرون بدءا من **جرجي زيدان** في رواياته التاريخية كـ " **صقر قريش** " و " **العباسة أخت الرشيد** " و " **المملوك الشارد** " و " **الحجاج بن يوسف** " وغيرها؛ مرورا بالروائي **عبد الرحمن منيف** في خماسيته الروائية " **مدن الملح** " والمصرية **رضوى عاشور** في **ثلاثية** " **غرناطة** " **وعبد الجبار عدوان** في روايته التاريخية الجبّارة " **راوي قرطبة** " **وربيع جابر** في روايته التاريخية الهامة " **دروز بلغراد** " والتي حصل بها على جائزة العالمية للرواية العربية سنة 2012، وغيرهم من الروائيين العرب.

كذلك الرواية الجزائرية لم تكن بمنأى عن الرواية العربية في تناولها التاريخ الرسمي للجزائر بنوع من التخييل. فلا يمكننا أن ننسى الروائيين الجزائريين الذين استعادوا فترات مختلفة من تاريخ الجزائر مثل **محمد مفلاح** في روايته " **شعلة المايدة** " الصادرة سنة 2010 حيث تناول فترة مقاومة الجزائريين لاحتلال الإسبان والشهور القليلة لتحرير مدينة وهران سنة 1792، كما تناولت الروائية الجزائرية **هاجر قويدري** في روايتها " **الرايس**" الصادرة سنة 2015 البحرية الجزائرية بقيادة **الرايس حميدو** في

الفترة الممتدة بين سنة 1790 و1815 بالجزائر، أمّا الروائي **واسيني الأعرج** فقد اختار العودة إلى تاريخ النضال الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي حيث تناولت روايته " **كتاب الأمير؛ مسالك أبواب الحديد** " سيرة حياة الأمير عبد القادر الجزائري وظروف مقاومته ومعاركه وسجنه في منفاه بفرنسا.

لكن يحقّ لنا أن نتساءل :

هل الرواية التاريخية لها شكل واحد أم عدّة أشكال؟. وبعبارة أدق هل هناك أنماط للرواية التاريخية أم نمط واحد؟

فالرواية التاريخية تنقسم إلى ثلاثة أنماط :

1 – النمط الأول: يتناول شخصية تاريخية معروفة في ثقافة بلد ما مثل رواية الفرنسي جيلبرت سينويه " **ابن سينا؛ أو الطريق إلى أصفهان** " والتّي يتناول فيها بعضًا من حياة الطبيب والفيلسوف المسلم **ابن سينا** في العصر الثاني من الدولة العباسية. ورواية " **سمرقند** " للكاتب اللبناني **أمين معلوف** والتي يتناول فيها حياة الفلكي والشاعر **عمر الخيام** وشخصيات **حسن الصباح** و**نظام الملك**.

2 – النمط الثاني: يتناول الأحداث التاريخية زمانيا ومكانيا في فترة معيّنة من فترات تاريخ دولة ما أو أمة ما ونجد روايات عالمية تمثّل هذا النمط خير تمثيل مثل رواية " **أخوية اليقظانيين** " **لجاك أتالي** والذي يتناول فيها أحداثا تاريخية حدثت في الأندلس والمغرب العربي مثل توسّع الدولة الموحديّة وبسط نفوذها على كامل إمارات الأندلس المتبقية وإنهاء ما يسمّى بـ **عصر الملوك الطوائف** والتقاء العالِمِيْن المسلمين المشهورين

ابن رشد و ابن الطفيل وما صاحبهما من أحداث تاريخية بارزة في العصر الموحدي بالمغرب العربي والأندلس.

3 – النمط الثالث: يتناول أحداثا غير تاريخية ضمن إطار تاريخي؛ أي يوظف التاريخ بأحداثه وشخصياته دون أن تنتمي هذا النمط إلى ما يسمّى الرواية التاريخية. وتدخل ضمن هذا النمط مجموعة من الروايات منها رواية " **الحواميم** " للروائي المغربي " عبد الإله بن عرفة " ورواية " **اللوح الأزرق** " للروائي الفرنسي **جيلبرت سينويه** ورواية "**حكومة الظل**" للروائي السعودي **منذر القباني** وغيرها من الروايات التي انتهجت هذا النمط.

فمسرح أحداث رواية " **اللوح الأزرق**" هو إسبانيا وزمانها زمن سقوطها وهزيمة المسلمين وخروجهم منها. يحاول الروائي ومن خلال قراءة في تاريخ هذه الفترة استرجاعها بحسّ ومخيلة روائيَيْن. يستعرض الكاتب الأحداث من محاكم التفتيش إلى المجازر والمحارق التي أُبيد فيها العرب والمسلمون وحتى اليهود، إلى المكائد التي استطاع من خلالها كلٌّ من ملك وملكة إسبانيا إشعال الحرب والمضي فيها إلى حين بلوغ لحظة الانتصار التي وصلوا إليها بالخديعة.

تبدأ الرواية باحتفالية الموت: نحن الآن في طليطلة (إسبانيا) من عام 1487، وقد أضرمت محاكم التفتيش النار في المحرقة التي أعدتها لإعدام «الهراطقة» من اليهود .

تتجلى فكرة الرواية بوضوح بعد موت الحبر اليهودي **ابن برول** الذي يترك رسالة وزعها قبل موته بأيام، على ثلاثة أشخاص كانت تربطه بهم علاقة خاصة. الأشخاص

الثلاثة لا يعرف بعضهم بعضاً، إلا أنّ رسائل صديقهم الذي قضى حرقاً، صارت الرابط بينهم.

الأول هو صموئيل عزرا، حبر يهودي في السبعين من عمره. الشخصية الثانية، الشيخ المسلم شاهر بن السرّاج الغرناطي. يحلّ اللقاء بين المسلم واليهودي ويضعنا المؤلف أمام شخصيتين لا يُستهان بعلمهما؛ وتستمر أحداث الرواية حتى ظهور الشخص الثالث. ففي الوقت الذي تكون فيه القوة العسكرية المؤتمرة بأمر الكنيسة، تمثل الخطر الأكبر الذي يهدد المسلمين واليهود في الأندلس حيث الحروب ومحارق محاكم التفتيش، نجد أنّ صاحب الرسالة وضع راهباً مسيحياً أمام الحبر والشيخ، ليكمل فيه المثلث الذي أوكلت إليه مهمة البحث عن **«اللوح الأزرق»** أو **«كتاب السفير»**. مع الراهب رافائيل فارغاس يكتمل المثلّث، وتكتمل فكرة الرواية الداعية إلى حوار الأديان. فكرة سامية تفصح لنا عن أنّ لا فرق بين الأديان، فكلها تتوحد بفكرة قدسية الله واحترام البشر؛ والفُرقة التي نعيشها الآن ما هي إلاّ هيمنة أفكار خارجة عن روح الرسائل السماوية. إنّها رواية تنقلنا في رحلة عبر مدن أندلسية كثيرة نبحث مع الشخصيات الأربع الرئيسة عن القرائن والدلائل ونفك الطلاسم والألغاز للوصول إلى اللوح الأزرق.

ويجيد الناقد والباحث الدكتور محمد الأمين بحري شرح أنماط الرواية التاريخية وتبيان تميّز كلّ نمط عن غيره بل ويعطينا نماذج ثرية لروايات جزائرية انتهجت أحد هذه الأنماط الثلاثة للرواية التاريخية حيث يقول في هذا الجانب:

" تتميز خصوصية النوع الأول **(رواية الشخصية التاريخية)** بضيق هامش التخييل واتّساع مجال التوثيق ومطابقات الوقائع التاريخية، نظراً لكون الشخصية التاريخية هنا جاهزة ومعروفة لدى المثقفين ورائجة لدى الرأي العام، وكلها عناصر رقابية على ما سيضيفه الروائي لهذه الشخصية الجاهزة. ولن يضيف هنا إلا التخييل الحذر؛ لذلك يقلُّ هذا النمط الروائي في العالم العربي وفي الجزائر خاصة حيث لا نجد سوى رواية **«الأمير»** لواسيني الأعرج و**«الرايس»** لهاجر قويدري. ويعلم المتابعون، كم الانتقادات التي تلقاها هذان النصان، بحكم وقوعهما في مضيق التخييل الخاص بهذا النوع. ويبدو تورط النصين واضحاً في مأزق السؤال الذي تطرحه هذه الرواية: ماذا ستُضيف من تخييلك لشخصية جاهزة ومؤثثة مسبقًا لدى القراء؟

أما خصوصية النمط الثاني **(رواية الحدث التاريخي)** فتمنح هامشاً أوسع للتخييل على حساب التوثيق الوقائعي، إذ يمكن للروائي زرع ما لا نهاية من القصص الضمنية، العاطفية والاجتماعية المتخيلة في ثنايا الأحداث الموصوفة، دون أن يخترق خصوصيتها ولا إحداثياتها التاريخية المعروفة. وهذا ما تفنّن فيه روائيون كثر استهواهم هذا النمط الروائي لسعة مجال التخييل فيه، ومن بين أبرز الأقلام الروائية الجزائرية في هذا النمط نجد الطاهر وطار في **«اللاز»**، و**«الشمعة والدهاليز»**، ومحمد مفلاح في **«خيرة والجبال»**، و**«الانفجار»**، و**«هموم الزمن الفلاقي»**، و**«شعلة المايدة»**، ولحبيب السايح في **«كولونيل الزبربر»**، و«إبراهيم وطار» في **«مقابر الياسمين»**.. وغيرهم الكثير.

وفي النمط الثالث **(الرواية التي توظف التاريخ دون أن تكون تاريخية)**، ينفتح القوس بشكل قد يشمل كلّ أنواع الرواية دون استثناء أو حصر، حيث ترحب كلّ أنماط الروائية بأيّ خطاب تاريخي يثري متونها.

نتساءل طبعا: هل وفقت رواياتنا مع التاريخ؟."

وفي هذا النمط نجد روايات أكثر بكثير ممّا هي موجودة في النمطين السابقين.

مراجع المحاضرة :

– نضال الشمالي: الرواية والتاريخ؛ بحث في مستويات الخطاب – عالم الكتب الحديث – بيروت – 2006.

– جورج لوكاتش : الرواية التاريخية – ترجمة : جواد صالح الكاظم – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – 1986.

– حلمي محمد القاعود : الرواية التاريخية في أدبنا الحديث دراسة تطبيقية – دار العلم والإيمان – بيروت.

المحاضرة 2 – الرواية والتاريخ :

" كتاب الأمير؛ مسالك أبواب الحديد" لواسيني الأعرج أنموذجا

أ.د. شريف بموسى عبد القادر

كتاب الأمير . مسالك أبواب الحديد هي رواية جزائرية معاصرة للروائي الجزائري المعروف واسيني الأعرج صدرت في أوّل طبعة لها بالجزائر عن منشورات الفضاء الحرّ بالجزائر العاصمة سنة 2004 في حوالي 554 صفحة (1)، ثمّ جاءت الطبعة الثانية لهذه الرواية عن دار الآداب ببيروت سنة 2005 في 632 صفحة، لتتوالى بعد ذلك طبعات الرواية وتُترجم إلى الفرنسية وتحصل على جوائز عربية وعالمية.

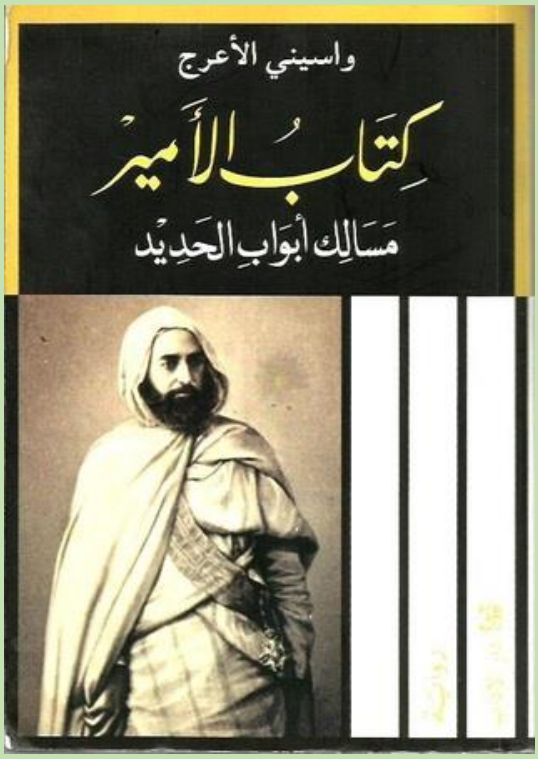

ويمكن اعتبار **كتاب الأمير؛ مسالك أبواب الحديد** أوّل رواية جزائرية تُكتب عن شخصية الأمير عبد القادر على خلاف الكتب التاريخية التي أسهبت في الكتابة عنه وعن مقاومته للاستعمار الفرنسي وحروبه معه.

تستمدّ هذه الرواية مادتها الأساسية من كتب التاريخ الخاص بالجزائر في القرن التاسع عشر وتركّز في سردها على شخصيتين تاريخيتين أساسيتين هما : شخصية الأمير عبد القادر الجزائري أثناء مقاومته للآلة الاستعمارية الفرنسية الغازية في الفترة الممتدة بين 1830 و1847، والفترة الثانية من حياة الأمير وهو في سجنه بفرنسا ما بين 1847 و 1852. بينما الشخصية الثانية التي تركّز عليها الرواية هي شخصية دينية مسيحية فرنسية، إنّها الأسقف **أنطوان – أدولف ديبوش Antoine–Adolphe Dupuch**، الأسقف الأول في الجزائر، ما بين 1838 و1846.

قسّم الروائي واسيني الأعرج روايته إلى ثلاثة أقسام أو أبواب هي : باب المحن الأولى، باب أقواس الحكمة، باب المسالك والمهالك. توزّع الباب الأوّل بين ستّة أجزاء أو وقفات (الأميرالية + 5 وقفات) على حسب تعبير المؤلف، وجاء الباب الثاني في خمسة أجزاء (الأميرالية 2 + 5 وقفات)، بينما قُسِّم الباب الثالث والأخير إلى خمسة أجزاء (الأميرالية 3 + 3 وقفات + الأميرالية 4) فيصبح عدد الوقفات مع أجزاء الأميرالية **هو ستّة عشر جزءا.**

وحرص الكاتب – كما هو طبعه في الكتابة الروائية – على إفراد كلّ جزء أو وقفة بعنوان خاصّ به. هذه الوقفات أو الأجزاء الستة عشر تناولت الفترة الزمنية الممتدة ما بين سنوات 1832 إلى 1852، وهي سنوات مقاومة شخصية الأمير للاستعمار ثمّ استسلامها ووقوعها في الأسر والنفي إلى فرنسا إلى غاية إطلاق سراحها في عهد إمبراطور فرنسا لويس نابوليون الثالث.

ويمكن لنا تقسيم الرواية إلى محطات سردية متوازية – إن صحّ التعبير– :

لعلّ أهمّ محطّتين سرديتين متوازيتين هما : المحطّة السردية الأولى تهتمّ بكلّ ما يتعلّق بحياة الأمير عبد القادر الجزائري فتسرد لنا فترة مقاومته للاستعمار الفرنسي منذ سنة 1832 إلى غاية استسلامه سنة 1847 ثمّ سجنه ونفيه إلى فرنسا ما بين سنوات 1847 و 1853. بينما المحطة الثانية تهتمّ بسرد حياة الأسقف الفرنسي موسنيور ديبوش رئيس أساقفة الكنيسة الفرنسية في الجزائر.

وجاءت المحطّة السردية الثالثة لتحاول تقديم تجربة الأمير في المنفى أثناء سجنه بفرنسا. فقد انتقل في منفاه من ميناء مدينة طولون العسكري إلى قصر **أمبواز ببوردو**. كما تبيّن لنا هذه المحطة مطالبة الأمير فرنسا بتنفيذ ما وعدته أثناء الاستسلام بالذهاب إلى مكة أو تركيا، وموقفه كذلك من عدم تنفيذ فرنسا لوعدها .

والمحطة السردية السادسة تركّز على علاقة الأمير المعقدة ببعض القبائل الجزائرية؛ بأوضاعها الاجتماعية والحربية الموروثة، وعلاقته التي تعقدت في مراحلها الأخيرة مع سلطان المغرب، مولاي عبد الرحمان وأمرائه وولاته.

وتتوازى المحطة السردية السابعة بين بناء الرواية انطلاقاً من رغبة **مونسينيور ديبوش** في كتابة رسالة إلى **لويس نابليون (إرئيس جمهورية فرنسا ثمّ إمبراطورها بعد ذلك)**، يدافع فيها عن **الأمير**، ويحثّ على احترام فرنسا لكلمتها وشرفها بإطلاق سراح الأمير؛ وبين سرد الأحداث أو انفتاح الرسالة على الأحداث التي يريد **ديبوش**

التدقيق فيها، وإقناع الفرنسيين بما فعل الأمير، وبراءته مما حصل، أحياناً، أثناء حروبه مع فرنسا. وعندما يكون **ديبوش** قد استوفى كل دقائق الأحداث الدالة على لسان الأمير، وهي التي يريد عرضها على لسان **لويس نابليون**، تكون الرواية قد وصلت إلى نهايتها أيضاً. هناك علاقة بين الرسالة وتصور بناء الرواية؛ وكأنّ الرواية عبارة عن رسالة أو مرافعة، للدفاع عن الأمير أمام **لويس نابليون**. وواضح هنا أنّ الرواية قد اعتمدت على هذه **(الوثيقة / الرسالة)** التي صدرت في كتيب بعنوان: **عبد القادر في قصر أمبواز، مهدى إلى السيد لويس نابليون بونابرت، رئيس الجمهورية الفرنسية. بقلم مونسينيور أنطوان-أدولف ديبوش أسقف الجزائر السابق.** الطبع والليتوغرافيا ل.: ح.فاي. شارع سان كاترين، 139. أفريل 1849.(الرواية . ص. 20).

حاول الروائي أن يعيد كتابة تاريخ الجزائر الحديث من خلال علاقة الأمير **بموسنيور ديبوش** أسقف فرنسا بالجزائر. أراد أن يكتب ما لم يقله التاريخ الرسمي عن الأمير. لقد بذل واسيني الأعرج – باعترافه هو – جهدا كبيرا في البحث وجمع الوثائق التاريخية عن الأمير ومراسلاته كي يدخلها ضمن عمله الروائي محاولا بذلك التقريب بين التاريخ والرواية، وهادفا إلى دفع هذه الوثائق للبوح بما لم تخبر به في التاريخ الرسمي وتكشف عما هو مستور منه إبّان فترة الاستعمار الفرنسي ومقاومة الأمير له.

ولكن يحقّ لنا أن نطرح سؤالا أو تساؤلا على درجة كبيرة من الأهمية :

- هل استطاع واسيني الأعرج أن يبعث لنا شخصية الأمير كما كانت في بيئتها الجزائرية ما بين سنوات 1832 و1852؟ هل استطاع أن يجعلها تتصرّف بحسب طبيعتها المسلمة والمقاومة والصوفية كذلك ؟؟؟.

يصرّح الروائي واسيني بأنّ التاريخ لم يكن هاجسه ولا تَقَصّي الأحداث بغرض اختبارها، بل حاول في روايته هذه قول ما لم يقله التاريخ بإعادة كتابة التاريخ العامّ للجزائر لا التاريخ الشّخصي للبطل عبد القادر الجزائري فقط. كما حاول فنّيا تقريب المسافة بين السّرد الرّوائي والسّرد التاريخي. لقد كان هدفه دفع الأحداث والوثائق التاريخية لتكشف أكثر عن المناطق المجهولة في الوقائع التاريخية إبان فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر. فكان التجاءه إلى ذلك بهدف الكشف عن الحوار الحضاري بين الإسلام والمسيحية، بين شخصية الأمير و"مونسينيور ديبوش".

لكن هل هذا ما كان يريده حقا الروائي ؟؟؟

حينما نحلّل بعض مقاطع الرواية سيظهر لنا شيئا آخر على جانب كبير من الخطورة:

لعلّ أوّل نصّ من الرواية يثير اهتمامنا ويطرح أكثر من سؤال عن أهداف الروائي المضمرة من تقديمه لشخصية الأمير في هذا الموقف، هو ما يتجلى لنا في الصفحة **الواحدة والخمسين** من الرواية بعدما يلتقي مونسنيور ديبوش بالأمير في

سجنه بفرنسا وبعد محاوراته معه دامت خمسة أيام فيعترف موسنيور بحبّه للأمير ومكانته في قلبه وفي دينه المسيحي. فيردّ عليه الأمير قائلا :

" – روحك أنت غالية عليّ، ومستعدّ أن أمنح دمي لإنقاذها. امنحني من وقتك قليلا لأتعرّف على دينك وإذا اقتنعت به ، سرتُ نحوه "

(الرواية الطبعة 2 – دار الآداب – بيروت – 2008 – ص51)

ولا يكتفي الروائي بالتخييل وإنّما يسارع إلى إضافة نصّ آخر في الصفحة ذاتها، إذ يطلب الأمير **" من مونسنيور أن يساعده للحصول على كتب متخصّصة في الدين وإلى كاهن معرَّب يشرح له تفاصيل المسيحية في صفائها الأوّل "**

ماذا يمكننا أن نفهم من هذا ؟؟؟؟؟

قد نفهم بأنّ الروائي كتب هذا العمل عن شخصية جزائرية معروفة عالميا بتسامحها مع الديانات الأخرى ليقدم للقارئ مثالا عن الحوار الحضاري والتسامح الديني، وهذا ما فعله الأمير لاحقا بدمشق في فتنة 1860 التي عصفت بسوريا ولبنان بين المسلمين والمسيحيين حيث حمى هو ورجاله الآلاف من المسيحيين الفارين من بطش المسلمين وأخفاهم في دياره وديار مساعديه وأهله.

ولكن ما لا نفهمه :

هل الأمير الذي حارب الاستعمار الفرنسي وهو المجاهد والمتصوف و لا تفارقه كتب ابن عربي، يحاول اتّباع دين آخر؟ هل هو لم يعد يعتقد اعتقاد اليقين بأنّه يمكن لدين آخر غير دين الإسلام أن يُتّبع ؟؟؟

إلى من كنت تكتب هذه الرواية يا أيّها الروائي؟

إذا كنت تكتبها للقارئ الجزائري والعربي، فلا يمكنك مواجهته بهكذا أفعال وأقوال عن أحد رموز المقاومة الجزائرية ومتصوفيها لأنّ القارئ الجزائري والعربي كذلك، يعرفان من هي شخصية الأمير وما هي مكانته الإسلامية الصوفية، ولا يمكن أن يقبلا بما تقول.

فلا شكّ أنّ الكاتب وهو يكتب روايته هذه بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، كان يريد أن يطمئن القارئ الغربي على وجود إسلام ليس إرهابيا وإنّما إسلام متسامح ومعتدل ويقبل بالآخر. **فالرواية موجّهة أساسا للمتلقي الغربي.**

وكي يقبل هذا القارئ الغربي روايته فلابد أن يقدم أحد الشخصيات التاريخية الإسلامية وهي في موقف المستسلم ليس فقط عسكريا وإنّما دينيا كذلك؛ أي وكأنّنا نرى الأمير من خلال محاورته هذه وكأنّه فقد يقينه بالدين الإسلامي ويريد أن يقرأ عن دين مسيحي لعلّه يقتنع به فيتّبعه.

وما يدلّل على ما ذهبنا إليه هو نص آخر من الرواية – على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة – يأتي به الروائي سريعا في الصفحة 52 :

" عندما همّ مونسينيور بالمغادرة اقترب منه الأمير :

- **قل لكلّ من تلقاه من القدّيسين النصرانيين، أن يدعوا لي لكي يغمرني الله بنوره ويفكّ كربتي وأسري.**
- **سأفعل. "**

ما هذا الكلام الخطير على لسان الأمير؟؟؟

الأمير يطلب من رئيس أساقفة الكنيسة المسيحية بالجزائر أن يطلب من القديسين النصرانيين أن يدعون له كي يغمره الله بنوره ويفك كربته وأسره.

وكأنّنا أمام رجل مسيحي ضائع وتائه يحاول الاعتراف بذنبه ويطلب مساعدة القديسين له.

هل نسى الروائي واسيني الأعرج أنّ الأمير من المتصوفة المسلمين ومن علماء المسلمين حتى أنه درّس بالمسجد الأموي بدمشق لسنوات. كيف يلتجئ لغير المسلم في السؤال كي يقبله الله ؟؟؟؟

هل نسي واسيني الأعرج أو تناسى كتاب الأمير الذي ألّفه في سجنه ردّا على افتراءات بعض المسيحيين عن الإسلام وكيف جاء هذا الكتاب كي يدافع عن الإسلام ضدّ هؤلاء.

لقد اكتشف الأمير أثناء وجوده بفرنسا نوعا آخر من الأوربيين يختلفون عن الذين تعامل معهم أثناء مقاومته للاستعمار، هذا النوع يمتاز بالخداع والمكر وتلفيق الاتّهامات إلى الإسلام فيكتشفه الأمير من خلال محاوراته مع بعضٍ منهم. ولهذا يقوم

بتأليف كتاب " **المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد** ". وهو في الأصل رسالة للرد على أحد القساوسة الذين اتهموا الدين الإسلامي زورا بأنه يبيح الغدر والخداع، ألفه في **سجن أمبواز**.

هل من يقوم بكتابة هذا الكتاب للدفاع عن الإسلام هو شخص ضائع ومتشكك في دينه وكماله إلى درجة تجعله يبحث عن دين آخر ويطلب من أتباع الدين الآخر أن يدعون له كي يرضى الله عنه ويفكّ أسره ؟؟؟؟؟

هذه النصوص الخطيرة وغيرها من النصوص – التي تسمّم تاريخ شخصية إسلامية عظيمة – ضمّنها الروائي داخل الرواية بطريقة – ذكية وخبيثة – تجعل من يقرأها يعتقد بأنّ الأمير كان قاب قوسين أو أدنى من اعتناق المسيحية.

فحينما نقرأ هذه الرواية سنجد أنفسنا نتساءل :

هل يحقّ للروائي تجاهل كلّ ما يشكّل خصوصية شخصية الأمير عبد القادر؟ هل يحقّ له انتزاعها من سياقها التاريخي والثقافي كي يرسمها وفق صورة تسعى إلى إرضاء ميوله ومتطلبات القارئ الغربي الذي يكتب إليه ؟ هل يحقّ له رسم الشخصية التاريخية في صورة تبدو للمتلقي غريبة عن بيئتها الخاصة، أي عن كلّ ما يمنحها تميّزا وهويّة ؟؟؟

وتطرح الدكتورة ماجدة حمود في كتابها " إشكالية الأنا والآخر ؛ نماذج روائية عربية " مجموعة من التساؤلات الهامة أثناء وبعد تحليلها لرواية واسيني الأعرج عن طبيعة علاقة الروائي بالتاريخ ومدى التزامه به وإلى أيّ حدّ يمكنه التخييل والتغيير في الأحداث التاريخية وسمات الشخصيات التاريخية بقولها :

" هل إلغاء الصراع الفكري بين الأنا والآخر المستعمِر في الرواية التاريخية يمنحها مصداقية ؟ لماذا اختفى الحوار مع الآخر المخالف للأمير؟ لماذا سلّط الروائي الضوء على أصدقاء عبد القادر الجزائري من الفرنسيين ؟ هل تكفي منتخبات من الوثيقة التاريخية وفق رؤية مسبّقة وقليل من التخييل لتجسيد شخصية كانت مؤثرة في زمانها ومازالت؟ أليس التحدي الأكبر أمام الروائي هو: كيف يتمكّن من تقديم روح الشخصية التاريخية ونبضها وأحلامها وأفكارها الخاصة، والتي تستقلّ بها عنه؟

ولكن هل يستطيع أن يجسّد هذه مثل هذه الشخصية المستقلّة من دون أن ينطقها بلغة خاصة بها، أي بلغة تتناسب وسياقها التاريخي والثقافي؟ ... ماذا يعني تستّر الرواية التاريخية عن تصرّفات الآخر الوحشية؟ ... لابدّ أن يتساءل المتلقي مستغربا : لماذا سيطر صوت واحد للآخر (مسالم ومتسامح وخيّر ...) وأُغفل الصوت المعتدي الذي أصرّ على البقاء في الجزائر مائة وثلاثين سنة، لم يخرج منها إلاّ بالثورة والدم؟."

هذه التساؤلات المهمة التي طرحتها الباحثة في دراستها وتحليلها لرواية كتاب الأمير لها ما يبرّرها وأذهب إلى ما ذهبت إليه الدكتورة الباحثة، لأنّ الرواية محمّلة بـ

نصوص و**كلمات** و**مفردات** تجعلنا نعتقد اعتقاد اليقين بأنّ الروائي واسيني الأعرج أراد استمالة المتلقي الغربي على حساب تشويه شخصية تاريخية مثل الأمير عبد القادر.

وجدير بالذكر أنّ أحد الباحثين الجزائريين يشير إلى هذا التشويه المقصود من طرف الروائي لشخصية الأمير حينما تتجاوز الرواية في بعض نصوصها إلى اختلاق صفات لم نجدها عند أهم الذين تحدثوا عن العلاقة بين السلطان المغربي والأمير. وهي وصف الأمير محمد بن السلطان عبد الرحمن بـ "العَكُّون" (ص385) وهي صفة تفيد الإنسان الأبله الذي لا يفهم في الأمور شيئاً. علماً بأن المصادر التاريخية المعروفة عن الأمير لم تشر إلى ذلك، وقد تكون من اختلاق الكاتب. كما أنّ أخلاق الأمير عبد القادر، وسلوكه وحسن منطقه وثقافته وتعففه، لا تسمح له بمثل ذلك التوصيف. ولكن معظم الذين يعتبرون عمدة في تاريخ الأمير، أو في تاريخ السلطان مولاي عبد الرحمان، أو محمد بن عبد الرحمن نفسه، لا يذكرون ذلك.

ولنا وقفة مرة أخرى مع رواية الأمير.

هوامش ومراجع:

- واسيني الأعرج : كتاب الأمير؛ مسالك أبواب الحديد – دار الآداب – بيروت – الطبعة 2 – 2008.

1 – شريف بموسى عبد القادر : الفهرس البيبليوغرافي للرواية الجزائرية (1947 – 2015) – دار إي كتب للنشر – لندن / بريطانيا – أكتوبر 2017 – ص 170.

- ماجدة حمود : إشكالية الأنا والآخر : نماذج روائية عربية – سلسلة عالم المعرفة – الكويت – العدد 398 – مارس 2013.

- محمد القاضي، الرواية والتاريخ : طريقتان في كتابة التاريخ روائيا، مجلة علامات في النقد (جدة) الجزء 28 المجلّد 7 يونيه 1998.

الرواية والتاريخ :

رواية " شعلة المايدة : لمحمد مفلاح

قبل أن نبدأ دراسة رواية " شعلة المايدة " للروائي الجزائري محمد مفلاح من حيث علاقتها بالتاريخ، حريّ بنا تقديم كاتبها الروائي محمد مفلاح.

إنّه روائي جزائري من مواليد 28 ديسمبر 1953 بولاية غليزان (الجزائر). شرع في نشر مقالاته الأدبية منذ السبعينيات من القرن الماضي بملحق "الشعب الثقافي" الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطار، وفي الفترة نفسها ظهرت قصصه القصيرة بالجرائد والمجلات الوطنية ومنها (آمال، والوحدة، والجزائرية، والمجاهد، والنادي الأدبي)، وقد نشر بضعها سنة 1983 في مجموعته القصصية الأولى الموسومة "السائق". ثمّ توالت أعماله القصصية والروائية والدراسات كذلك.

ولقد أصدر أكثر من 18 رواية إلى غاية 2019 (من 1983 إلى 2019). كانت روايته الأولى الصادرة سنة 1983 هي رواية " الانفجار" الصادرة عن مجلة (آمال) التابعة لوزارة الثقافة بالجزائر في 111 صفحة.

وتعتبر روايته " **شعلة المايدة؛ دروب العودة إلى وهران** " هي إحدى أهمّ رواياته التي يتناول فيها حدثا تاريخيا مهما في الجزائر، وهو تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني والذي استمرّ زهاء الثلاثة قرون.

صدرت هذه الرواية في طبعتها الأولى عن دار طليطلة للنشر والتوزيع بالجزائر في 131 صفحة، ثمّ طُبعت عدة مرات بعد ذلك. إنّها رواية تاريخية تتناول الحدث التاريخي كموضوع لها، تعيد التفاعل الإبداعي مع فترة هامة من التاريخ الجزائري، هي فترة التواجد التركي العثماني، حيث نجد الكاتب قد استفاد كثيرا من ثقافته وقراءاته التاريخية المتعددة.

تدفع رواية " شعلة المايدة" القارئ إلى العودة لكتب التاريخ الجزائري قصد التأكد من كثير من المحطات والوقائع التي تحضر بين الصفحات، بل إن قارئ الرواية مرغم على تصفح التاريخ والبحث في مصادره قبل قراءة الرواية، وهنا يقع الحوار بين الخطاب الأدبي والخطاب التاريخي والخطاب النقدي، ومن ثمة وجب تقديم بعضا من تاريخ مقاومة الجزائريين للإسبان قبل التناول النقدي للنص. فما هي الحقيقة التاريخية للتواجد الإسباني بوهران؟

ويروي المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدني، في كتابه" **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**"، بدايات هذا الاحتلال، قائلا: "عندما صح العزم من الملك الإسباني، جلاد مسلمي الأندلس، فرناندو، على غزو شمال أفريقيا لإشغال المسلمين ببلادهم ومنعهم من التفكير في العودة إلى إسبانيا مرة أخرى، لم تكن

حالة الخزينة الإسبانية تسمح لها بتجهيز الجيش، فتكفل الكاردينال كسيماناس بتوفير النفقات اللازمة من أموال الكنيسة."

ويسترسل الكتاب ذاكرا: "لم تتمكن الحامية المشكلة من 500 جندي من صد الإنزال الإسباني المفاجئ، رغم معركة غير متكافئة استمرت ثلاثة أيام متواصلة، وبعد سقوط الميناء وقلعته، قرر سكان المدينة الانسحاب منها بعد أن توصلوا إلى اتفاق مع القائد الإسباني يسمح لهم بمغادرتها في سلام في مهلة ثلاث ساعات فقط، وفور دخول الإسبان المدينة، تم تحويل جامعها إلى كنيسة سميت باسم كنيسة القديس مخائيل."

لقد شكلت معركة يوم 11 سبتمر 1505 بداية الحرب الجزائرية الإسبانية، التي ستستمر لمدة ثلاثة قرون متوالية، إلى غاية تحرير مدينة وهران سنة 1792.

يقول أحمد توفيق المدني عن ذلك: "ما كاد خبر الاستيلاء على المرسى الكبير يصل إلى إسبانيا حتى عمت الأفراح، وأُعلن العيد لمدة سبعة أيام متوالية، وصدر منشور بابوي يعطي لملك إسبانيا السلطة على الجزائر وتونس، وأعطى البرتغال السلطة على المغرب الأقصى."

ولم تُحتل المدينة بالكامل إلا سنة 1509، وكانت قبل سقوطها تابعة لملك تلمسان قبل أن يستولي عليها الإسبان. احتل الإسبان وهران سنة1550 بعد أن وصلت الدولة الزيانية إلى درجة كبيرة من الضعف والانهيار نتيجة التنافس على العرش، وقد قاد الداي محمد بكداش المقاومة ضدهم وأخرجهم من المدينة، ثم عاودوا الحملة عندما كانت تحت حكم الباي مصطفى أبو شلاغم الذي نقل مركز البايلك من مازونة إلى معسكر ليكون قريبا من المركز الإسباني بوهران، وقد استطاع الباي إجلاء المحتل

من مدينتي وهران والمرسى الكبير عام 1708، لكن الإسبان أعدو حملة أخرى واستردوا المدينتين عام1732، ثم توجهوا بحملات ثلاث نحو عاصمة الجزائر، وآخرها كان عام1784 حيث خرجوا منهزمين. إلى أن جاءت سنة 1792، العام الذي تحررت فيه المدينة نهائيا.

وسخر محمد الكبير في فترة توليه الحكم كل الإمكانات لتجنيد الأهالي، وبخاصة الطلبة، ولذلك قد بعث من جديد الرباطات وكان يراقبها ويدعمها ويشجع المنتسبين إليها ماديا، وقد استطاع جمع الآلاف من المقاتلين لمواجهة الاحتلال الإسباني. وبعد زلزال وهران عام1790 الذي هدم الكثير من الأبراج والحصون وحول المدينة إلى ركام كبير من الحجارة، ثم جاء الانسحاب من هذه المدينة الهامة ومن المرسى الكبير في فيفري1799.

نقرأ في الرواية أحداث احتلال وهران ونتأمل منطقة الغرب الجزائري وجغرافيتها الطبيعية، بل بجغرافيتها الثقافية الاجتماعية.

وإذا كانت الرواية التاريخية من منظور جورج لوكاتش هي عمل سردي يرمي إلى إعادة بناء حقيقة من الماضي بطريقة تخيلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة، فإن رواية " شعلة المايدة " قدمت مشاهد من التواجد التركي بالجزائر، بكل إيجابياته وسلبياته، كيف ذلك؟

ينطلق النص من مشهد الرؤيا وحضورها القوي في ذاكرة الإنسان الشعبي، ويقترب من يوميات الاحتجاج على سلطة الحكام العثمانيين وممثليهم وفرض الضرائب على الجزائريين، ونجد الدور الكبير للعلماء والمشايخ في المجتمع وتأثيرهم الديني

والقبلي الكبير ومنتجهم العلمي الوفير، وهي مميزات حاضرة بقوة في تاريخ التواجد العثماني بالجزائر، حيث حضرت أبحاث العلماء في علم الكلام والتصوف والمنطق، كما يلتفت محمد مفلاح– بإشارات سردية ذكية– إلى ظاهرة تاريخية هامة هي الرسائل المتبادلة بين الشيوخ والبايات أو القادة الأتراك، وهي رسائل تقدم صورا من المميزات الاجتماعية والسياسية والثقافية للجزائر في العهد العثماني.

كما نجد في هذه الرواية جهدا كبيرا من المؤلف كي يعطينا صورة اجتماعية وسياسية هامشية أقرب إلى ما كانت عليه الحال في تلك الفترة حيث تذكر هذه الرواية محاولات الجزائريين التمرد على الأتراك بسبب الضرائب، ومحاولة الباي كسب دعم القبائل للجهاد ضد الإسبان، وموقف العلماء في الجمع بين الطرفين، ويستعين الراوي بالتوثيق ويذكر الشعراء الشعبيين وعناوين الكتب التراثية والتاريخية.

لعلّ الحدث المركزي الذي بُني عليه النسق السردي العام للرواية يظل هو " **الرباط** " من أجل استرداد المدن و الحصون الجزائرية التي استحوذت عليها الجيوش الإسبانية ابتداء من رؤية شيخ زاوية مينة الذي تنبأ باسترداد وهران على يد شاب أسمر(محمد بن عثمان الكبير) و مرورا على حملة أوريلي على مدينة الجزائر العاصمة، حيث كان الشيخ أبو طالب مع طلبته في جلسة علمية حتى وصله رسول من الباي ابراهيم يخبره عن تعرض مدينة الجزائر العاصمة قريبا لحملة عسكرية إسبانية ضخمة العدد ويطلب منه المشاركة في صد هذا الهجوم حيث قال له:".. لقد كلفني سيدي الباي بالاتصال بكم لتجنيد الطلبة على الانضمام إلى الجيش الذي يقوده سيدي الخليفة.." مسد الشيخ أبوطالب لحيته وقال باسما:

. الحمد لله على منته.

ثم هزّ رأسه بهدوء وأردف قائلا بعد تفكير:

. سأشارك بنفسي في هذه الحرب إذا ما شفيت من بعض آلام الساقين.. (شعلة المايدة وقصص أخرى – أيدكوم للنشر والتوزيع – الجزائر – 2013 – ص 59)

يحاول الروائي محمد مفلاح في هذه الرواية الامتناع عن الكتابة عن شخصيات تاريخية مشهورة عند العام والخاص – على غرار ما فعله واسيني الأعرج في روايته " كتاب الأمير " والذي تناول فيها شخصية الأمير عبد القادر – بل إنّنا نجده يتّجه إلى تناول الحدث التاريخي وهو حدث تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني. ولكنّه في الوقت ذاته لا يكتب عن الحدث التريخي الرسمي التي تناولته كتب التاريخ والمورِخون وإنّما يحاول التركيز في هذه الرواية على التاريخي الهامشي والمنسي والمسكوت عنه. ومن هنا يعمد الروائي إلى ابتكار شخصيات تخييلية يمكنه التصرف في حياتها ومغامراتها وخطابها كيف شاء دون أن يحاسبه أو يراقبه أحد. ولا يملك القارئ سوى تتبع مسارات التخييل التي ترسمها الشخصية المخيالية المبتكرة في صورة البطل راشد في رواية " شعلة المايدة " ذلك البطل المسكون بالتاريخ، والذي عايش حيثيات ومؤامرات وتقلبات حدث إشكالي تضارب فيه التاريخين الرسمي والشعبي، وهو تحرير مدينة وهران من الاستعمار الإسباني.

تحيل كتابة هذه الرواية على تجربة متميزة في المزج بين الأدبي والتاريخي، وهي تكشف رمزية العلاقة بين الإنسان وذاكرة المكان، استشرافا لآتي الوطن ومستقبله في ظل تحولات عالمية متسارعة، ويقدم الكاتب – عبر الرواية – معلومات ثقافية وسياسية

ليؤكد سرديا على أهمية معرفة الذاكرة الثقافية والسياسية في العهد العثماني بالمنطقة الغربية من الجزائر.

الرواية والتاريخ :

رواية " الرايس" لهاجر قويدري

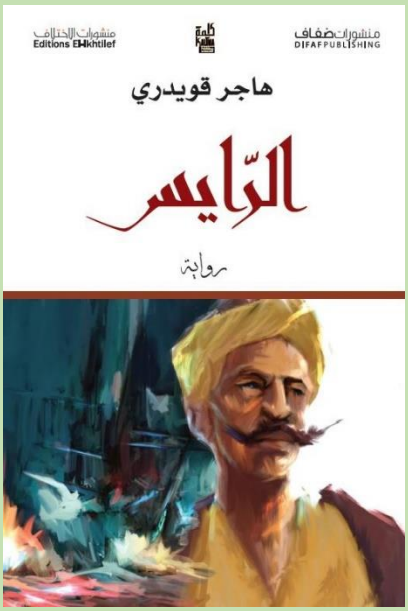

تعتبر الروائية الجزائرية **هاجر قويدري** من الروائيات الجديدات اللواتي دخلن الكتابة الروائية بروايات تعتمد على السرد التاريخي. ولقد أصدرت إلى حدّ الساعة روايتين اثنتين فقط هما : " **نورس باشا** " الصادرة عن دار طوى للنشر والإعلام بلندن سنة 2012 في 439 صفحة. والرواية الثانية موضوع محاضرتنا اليوم هي " **الرايس**" الصادرة عن منشورات الاختلاف / الجزائر بالاشتراك مع منشورات ضفاف / بيروت في 192صفحة.

لقد اتخذت رواية " الرايس" فترة الحكم العثماني للجزائر في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر متنا لها وموضوعا من خلال شخصية جزائرية مشهورة هي شخصية الرايس حميدو أحد رياس البحرية الجزائرية في بدايات القرن الثامن عشر. فالرواية تدور في فضاء زمني يمتد بين (1791و 1815) وهو تاريخ وفاة الرايس "حميدو" الذي يظهر لنا في أول ذكر له وقد خرج من البحر، وينتهي برمي جثمانه في البحر كما أوصى، وبين اللحظتين، تعتمل حوادث صغرى.

تصوّر الرواية الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر إبّان الحكم العثماني، كما تسلّط الضوء على طبقة مهمة في جزائر تلك الفترة هي طبقة رياس البحر ومغامراتهم البحرية. ولم تغفل الرواية عن تناول الدسائس والمؤامرات التي كانت تُحاك بين الدايات الأتراك وصراعهم من أجل السلطة. كما لا يمكننا نسيان حكاية " مريم " خطيبة الرايس حميدو والتي تظلّ تنتظر عودته طيلة سنوات طوال حيث لم يدخل بها زوجة له إلاّ بعد أكثر من عشرين سنة ثم يتركها بعد ذلك ليمضي في مغامراته البحرية. وتعرّج الرواية إلى قصص أخرى مرتبطة ومنفصلة مع قصة الرايس حميدو، مثل قصة الجاسوسة " تالار" التي تعمل في التطريز متّخذة هذه المهنة نوعا من التغطية عن مهمتها التجسُّسيَّة التّي كلّفت بها في بيوت الشخصيات السياسية. كما نتعرّف في هذه الرواية على قصّة ثروة وكيل الخرج عثمان لدى داي الجزائر، حيث يقوم بدفن ثروته الأسطورية تحت قبر الفتاة التي أحبّها بعد مقتلها على يد الباشا. وفي آخر أيامه يكتب وصية لأخيه يخبره فيها عن مكان ثروته التي تُعتبر كنزا أسطوريا في ذلك الوقت. وتنتهي أحداث الرواية بمقتل الرايس حميدو في معركة بحرية كبيرة.

ومن خلال قصّة حياة الرايس حميدو تحاول الرواية رسم صورةٍ متكاملة عن الجزائر في فترة الحكم العثماني بقليلٍ من التوثيق المميَّز لأحداث غيَّرت وجه المنطقة كموقف الحكومة العثمانية في الجزائر من الاستعمار الاسباني لوهران وكيف كان الأهالي وشيوخ الزوايا الصوفية هم الطرف الحقيقي الذي يُعزى إليه طرد الإسبان من المدينة.

تنقسم الرواية في "الرايس" إلى نوافذ سردية عدّة تطل منها سبعة أصوات أو "أحاديث" كاملة، تحاول كل منها بدرجات متفاوتة إعادة تشكيل جزء من قصة الرايس حميدو، القائد البحري الجزائري الشهير نهاية القرن الثامن عشر؛

ولعلّ اللافت في هؤلاء الرواة السبعة الذين يتكلمون بضمير الغائب عن الرايس حميدو هو أنّهم من جنسيات وعرقيات، كما تتمايز قصصهم أحياناً وتتقاطع أحياناً أخرى بشكل يبدو معه أنّ كل واحد يمسك بقطعة من الحكاية الكبرى والتي من خلالهم سنحاول إعادة تشكيل صورة الرايس حميدو كما عاش وكما مات. كما نجد أن هذه الأحاديث تمرّ بمحاذاة كل شيء تقريباً، بمحاذاة الأجواء العثمانية في قصبة الجزائر، وبمحاذاة دسائس السياسة، وبمحاذاة المعارك البحرية.

حاولت رواية " الرايس" في حبك قصتها، الاشتغال على تيمة شخصية تاريخية « الرايس حميدو » بقليل من التوثيق، وكثير من التخييل، حيث سيطر السرد الاستبطاني «المونولوغ، المناجاة، تيار الوعي»، على السرد الخارجي الذي ينم على عدم تحقق الكاتبة من كثير من الوقائع التاريخية.

لا يوجد في الرواية بطل رئيس فقد قسّمت الرواية على سبعة رواة كل واحد من هؤلاء الرواة ينفرد بسرد جانب من حياة الرايس حميدو وجانب من تاريخ مدينة الجزائر سواء الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي. لقد جاء الجانب السردي مقسّما بالتداول بين سبعة رواة هم : (علي طاطار بفاريتو- مريم- وكيل الخرج سيد علي – وكيل الخوج مصدق – تالار- يحي مديلي – جون جاكسون) قاموا – بحسب الناقد الجزائري محمد الأمين بحري – بسرد موضوع واحد ووحيد، يوسع مدارات الأحداث والشخصيات

والظروف المرتبطة من قريب ومن بعيد بحياة الرايس حميدو الذي لم يكن أبداً من الرواة، بل كان البطل المروي عنه بما هو الموضوع الرئيس لحديث كل راوٍ من الرواة السبعة.

كما أنّ تقنيات السرد في الرواية جذبت ناقدا جزائريا مثل محمد الأمين بحري حيث وضّحها في قوله «الأمر الذي يشد القارئ في رواية الرايس حتى نهايتها هو استراتيجيتها السردية من فصل لآخر القائمة على ما يسمى بتقنية «الرؤية مع» التي لا تسمح للقارئ بمعرفة أو توقع الحدث إلا بعد روايته على لسان راويه، فلا يسبق أحدهما الآخر، الراوي والقارئ».